التحقيق الباهر

في

معنى الإيمان باليوم الآخر

لأبي الفضل
عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري
عفا الله عنه بمنه

عُني بطبعه ومراجعته
خادم العلم
عبد الله بن ابراهيم الأنصاري

طُبع على نفقة الشؤون الدينية
بدولة قطر

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري
الرقم العام : ١٢٠٢
رقم التصنيف : ٢١٣,٤١ غ ع ت

التحقيق الباهر

في

معنى الإيمان باليوم الآخر

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف :
الرقم العام : ١٢٠٢
الرقم الآلي : ١٥٤٦
جهة الورود :

لأبي الفضل
عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري
عفا الله عنه بمنه

٢١٤,٢٢
غ ع ت

عني بطبعه ومراجعته
خادم العلم
عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

٦١٧

طبع على نفقة الشئون الدينية
بدولة قطر

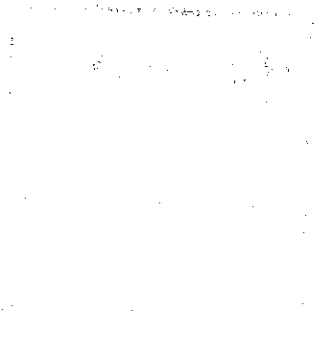

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الوهاب . الحليم التواب . منزل الكتاب . تذكرة وهدى لأولي الألباب . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ندخرها ليوم الحساب . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله إلى الثقلين بشيراً لمن أطاعه بحسن الثواب . ونذيراً لمن عصاه بسوء العذاب، صلى الله عليه وآله وسلم صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين . ورضي الله عن صحابته الأكرمين وبعد : فإن مبتدعاً أوعز إليه المبشرون الأمريكيون أن يدعو إلى توحيد الأديان ، فلبى طلبهم ، وأجاب رغبتهم وكتب في مجلة صوت أمريكا مقالاً زعم فيه : أن الإيمان المنجي يوم القيامة ، هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأن الإيمان بالنبي ﷺ ليس بواجب ، واستخلص من ذلك : أن اليهود والنصارى ناجون يوم القيامة ، لأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر كالمسلمين ، واستدل لهذا الباطل المزعوم بقوله تعالى ـ في سورة البقرة ـ : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) « آية ٦٣ » فجهل معنى الإيمان في عرف الشرع ، وحرَّف الآية عمَّا أراده الله منها ، وعميَ عن آية أخرى تفسرها . وخرج من دينه آخر الأمر ! !

وأنا إذ أريد ـ بحول الله ـ أن أبين جهله ، وأكشف عواره ، أقدم معنى الآية بإيجاز ، وما قيل فيها ، ثم أتبعه بالقول الفصل ، المؤيد بالبرهان القاطع ، الذي لا يترك في النفس شبهة ، ولا يدع في القلب ريباً ، وبالله التوفيق .

فبتفسير الجلالين : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالأنبياء من قبل (وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ) طائفة من اليهود أو النصارى (مَنْ آمَنَ) منهم (بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) في زمن نبينا (وَعَمِلَ صَالِحاً) بشريعته (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) أي ثواب أعمالهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) اهـ .

وفي تفسير البيضاوي : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمدﷺ المخلصين منهم والمنافقين ، وقيل : المنافقين ، لانخراطهم في سلك الكفرة (وَالَّذِينَ هَادُوا) تهودُوا ، يقال : تهود إذا دخل في اليهودية (وَالنَّصَارَى) جمع نصران ، كندامَى وندمان والياء في نصراني للمبالغة ، كما في أحمري (وَالصَّابِئِينَ) قوم بين النصارى والمجوس ، وقيل : أصل دينهم دين نوح عليه السلام ، وقيل : هم عبدة

الملائكة ، وقيل : عبدة الكواكب (مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً) من كان منهم في دينه ـ قبل أن ينسخ ـ مصدقاً بقلبه بالمبدإ أو المعاد ، عاملاً بمقتضى شرعه ، وقيل : من آمن من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ، ودخل في الإسلام دخولاً صادقاً (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم (وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) حين يخاف الكفار من العقاب ، ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ، اهـ .

وفي تفسير ابن جزي : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) الآية ، قال ابن عباس : نسختها « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ » وقيل : معناها ؛ أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيماناً صحيحاً فله أجره ، فيكون في حق المؤمنين الثبات إلى الموت ، وفي حق غيرهم الدخول في الإسلام ، فلا نسخ ، وقيل : إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ فلا نسخ ، اهـ .

وفي تفسير الحافظ ابن كثير : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ثنا عمر بن أبي عمر العدني ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال سلمان رضي الله عنه سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم ، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) الآية . فكان إيمان اليهود . أنه من

تمسك بالتوراة ، وأخذ سنة موسى عليه السلام ، حتى جاء عيسى ، فلما جاء عيسى ، كان من تمسك بالتوراة ، وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى ، كان هالكاً ، وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه ، حتى جاء محمدﷺ فمن لم يتبع محمداًﷺ منهم ، ويدع ما كان من ملة عيسى والإنجيل ، كان هالكاً . قال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا ، قلت : هذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) قال : فأنزل الله بعد ذلك:(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً ، إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه به ، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه ، فهو على هدى وسبيل نجاة ، فلما بعث الله محمداًﷺ خاتماً للنبيين ، ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق ، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانكفاف عما عنه زجر ، وهؤلاء هم المؤمنون حقاً ، وسميت أمة محمدﷺ مؤمنين ، لكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم ، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية . اه . ثم ذكر الخلاف في تعيين الصابئين . وفي تفسير البحر المحيط لأبي حيان : قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) الآية . نزلت في أصحاب سلمان . وذلك أنه صحب عباداً من النصارى فقال له أحدهم : إن زمان نبي قد أظل ، فإن لحقته فآمن به ، ورأى منهم عبادة عظيمة ، فلما جاء النبي ﷺ ذكر له خبرهم وسأله عنهم ، فنزلت هذه الآية . حكى هذه القصة مطولة ،ابن اسحق والطبري والبيهقي.وروي عن ابن عباس : أنها نزلت في أول الإسلام وقدر الله بها أن من آمن بمحمد ﷺ ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته ، وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ، فله أجره ، ثم نسخ ما قدر من ذلك بقولهِ (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) وردت الشرائعُ كلها إلى شريعة محمد ﷺ.وقال غير ابن عباس : ليست بمنسوخة ، وهي فيمن ثبت على إيمانه بالنبي ﷺ . وروى الواحدي بإسناد متصل إلى مجاهد قال : لما قص سلمان على النبي ﷺ قصة أصحابه ، وقال له:« هم في النار » قال سلمان : فأظلمت عليَّ الأرض ، فنزلت . . . إلى (يَحْزَنُونَ) قال : فكأنما كشف عني جبل ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب ، وما حل بهم من العقوبة ، أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم ، دالاً على أنه يجزي كلا بفعله والذين آمنوا : مُنافقو هذه الأمة ، أي آمنوا ظاهراً ، ولهذا قرنهم بمن ذكر بعدهم ، ثم بين حكم من آمن ظاهراً وباطناً،قاله سفيان الثوري : أو : المؤمنون بالرسول ، و (مَنْ آمَنَ) معناه : من داوم على إيمانه ، وفي سائر الفرق : من دخل فيه . أو :

الحنيفيون ممن لم يلحق الرسول ، كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ، وورقة بن نوفل ، ومن لحقه كأبي ذر ، وسلمان وبحيرا ووفد النجاشيء الذين كانوا ينتظرون المبعث ، فمنهم من أدرك وتابع ، ومنهم من لم يدرك ، والذين هادوا ، كذلك ممن لم يلحق إلا من كفر بعيسى - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - والنصارى كذلك ، والصابئين كذلك ، قاله السدي . أو : أصحاب سلمان ، وقد سبق حديثهم . أو : المؤمنون بعيسى قبل أن يبعث الرسول . قال ابن عباس . أو : المؤمنون بموسى وعملوا بشريعته ، إلى أن جاء عيسى ، فآمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد . قال السدي عن أشياخه . أو : مؤمنو الأمم الخالية . أو : المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، من سائر الأمم . فهذه ثمانية أقوال في المعنى بالذين آمنوا ، - ثم ذكر وجوه الإعراب في الآية ، ثم قال - : وقد اندرج في الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالرسل ، إذ البعث لا يعرف إلا من جهة الرسل (وَعَمِلَ صَالِحاً) هو عام في جميع أفعال الصلاح وأقوالها وأداء الفرائض . أو : التصديق بمحمد ﷺ القول الثاني يروى عن ابن عباس ، اهـ .

وفي كتاب « الناسخ والمنسوخ » لأبي القاسم هبة الله بن سلامة المتوفى سنة ٤١٠ هـ - في الكلام على سورة البقرة - الآية الثانية قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) والناس فيها

قائلان ؛ فقالت طائفة ـ منهم مجاهد والضحاك بن مزاحم : هي محكمة ، ويقرؤونها بالمحذوف المقدر ، ويكون التقدير على قولهما (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) من آمن من [الَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ] .

وقال الأكثرون : هي منسوخة ، وناسخها عندهم : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً) الآية اهـ .

من هذه النقول المتعددة عن أئمة التفسير من الصحابة والتابعين وغيرهم ، تعلم أن الآية الكريمة بعيدة كل البعد عما ألصقه بها ذلك المبتدع المأجور على تحريف الآيات القرآنية ، لتحقيق أغراض تبشيرية ، وتعلم أيضاً أن أحداً من العلماء لم يسبقه إلى ذلك القول الذي شذ به عن جماعة المسلمين ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وهذا كاف في رد نحلته وكشف دخلته ، لكنا ـ مع ذلك ـ نفي بما وعدنا به فنذكر الدليل القاطع الفاضح لجهله ، حتى يتبين الحق وتتضح معالمه ، ويزهق الباطل وتنطمس مراسمه والله الموفق والهادي .

من المقرر المعلوم : أن الإيمان حقيقة شرعية ، متركبة من اجزاء، بيَّنها النبي ﷺ في جواب سؤال جبريل عليه السلام حيث قال: «الإيمان ، أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره » وهذه الأجزاء متلازمة شرعاً ، بحيث إذا انتفى جزء منها ، لزم انتفاء بقية

الأجزاء ، ولزم بالتالي ، انتفاء حقيقة الإيمان . فالمكذب برسول واحد ، تنتفي عنه حقيقة الإيمان من أساسها ، ويجب الحكم عليه شرعاً بأنه لا يؤمن بالله ، ولا بالملائكة ، ولا بالكتب ، ولا بالرسل ، ولا باليوم الآخر ، ولا بالقدر ، وإن زعم أنه يؤمن بذلك ، فزعمه مردود عليه شرعاً ، لأن حقيقة الإيمان لا تقبل التجزئة ، والدليل على هذا من القرآن عدة آيات :

١ ـ قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً) نزلت الآية في اليهود والنصارى ، حكم الله بكفرهم لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بالنبي ﷺ ومعنى التفريق بين الله ورسله : الإيمان بالله والكفر برسله ، والتفريق بين رسله : الإيمان ببعضهم دون بعض . فاليهود والنصارى ، فرقوا بين الله ورسله حيث آمنوا به ، وكفروا بالنبي ﷺ وكذلك فرقوا بين رسله أيضاً ، فكانوا كافرين كفراً حقيقيًّا كاملاً بنص هذه الآية الكريمة .(ولم ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ قوله تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) نسب الله إلى قوم نوح ، تكذيب المرسلين ، لأنهم بتكذيبهم رسولهم ، كانوا

مكذبين للرسل جميعاً ، إذ لا يتفق تصديق رسول مع تكذيب آخر .

ومثل هذه الآية قوله تعالى:(كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ) (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ)(كذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ) . كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ) فهذه الآيات تبين تلازم أجزاء الإيمان ثبوتاً وانتفاء ، فتكذيب رسول يستلزم تكذيب جميع المرسلين ، والعكس بالعكس . وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد تقرير .

٣ ـ قوله تعالى:(قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) .

أخبر الله في هذه الآية الكريمة عن أهل الكتاب ـ وهم اليهود والنَّصارى ـ أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، لأنهم حين كفروا بالنبي ﷺ فقدوا جزءاً من الإيمان فانتفت عنهم حقيقة الإيمان من أصلها ، ولم يبق لهم فيها نصيب ، كما أخبر أنهم لا يدينون دين الحق ـ أي الإسلام ـ وهذا يفيد أن دينهم باطل ، لا يقبل منهم عند الله تعالى كما صرح بذلك في قوله عز شأنه :(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ

يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ) . يضاف إلى ما سبق من نفي الإيمان عنهم ، جعله سبباً لقتالهم ، حتى يعطوا الجزية صاغرين . فهذه الآية صريحة قاطعة لا تحتمل تأويلاً ، وهي تفسير آية البقرة وتوضح المراد منها ، وذلك بأن يكون الاقتصار فيها على الإيمان بالله واليوم الآخر ، ليس للاكتفاء به كما فهم ذلك المبتدع ، ولكن لأنه يستلزم ـ شرعاً ـ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل . ثم نقول لذاك الجاهل المتعامي عن تلك الآيات القاطعة الدامغة : إذا كان الإيمان بالله واليوم الآخر ـ حسب فهمك السقيم ـ منجياً يوم القيامة !! فلماذا أوجب الله قتال أهل الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ؟ !! أليسوا بمؤمنين في زعمك ؟ !! وكيف يستجيز عاقل قتال المؤمن لأخيه المؤمن ؟ وأخذ الجزية منه وهو صاغر ذليل ؟!! ولِمَ برَّأ الله خليله إبراهيم من دين اليهودية والنصرانية والإشراك ؟ حيث قال تعالى:(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ولا معنى لهذه التبرئة ، إلا تنزيه إبراهيم عليه السلام ، عن التدين بهذه الأديان الباطلة ، ولو كان دين منها منجياً يوم القيامة ، لما برَّأه الله منه ، كما لم يبرئه من الإسلام ، بل أثبت له أنه مسلم ، وأن أولى الناس به نبينا وأمته (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِي وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) .

وكيف تفهم قول الله تعالى ـ يخاطب الصحابة يوم عرفة في حجة الوَداع (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) . وهل دين الإسلام الذي رضيه الله للمسلمين ، يتفق مع دين اليهودية والنصرانية ؟! وماذا تفعل بقول الله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ) أي لا غيره ، على ما تفيده صيغة الحصر المقررة في علم المعاني . وبالجملة فظاهر أن الإيمان بالله واليوم الآخر يستدعي بقية أجزاء الإيمان استدعاء لزومياً شرعياً كما سبق تفصيله ، وقد أشير إلى هذا التلازم في تفسير الجلالين ـ وهو تفسير معروف متداول ـ وإليك نصه : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ (وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ) كالخمر (وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) الثابت الناسخ لغيره من الأديان ، وهو دين الإسلام (مِنَ) بيان للذين (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي اليهود والنصارى (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) الخراج المضروب عليهم كل عام (عَنْ يَدٍ) حال ، أي منقادين ، أو بأيديهم لا يوكلون بها (وَهُمْ صَاغِرُونَ) أذلاء منقادون لحكم الإسلام ، اهـ .

قال الشيخ سليمان الجمل في حاشيته : قوله : وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ جواب عمَّا يقال : إن أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم

الآخر ، فكيف نفت الآية عنهم الإيمان بهما ؟

ومحصل الجواب : أن إيمانهم بهما باطل لا يفيد ، بدليل أنهم لم يؤمنوا بالنبي ﷺ فلما لم يؤمنوا به ، كان إيمانهم بالله واليوم الآخر كالعدم ، فصح نفيه في الآية .

وفي كلام الشارح ، إشارة إلى قياس استثنائي ، فقوله : وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ إشارة إلى الشرطية ، وصريحها هكذا : لو آمنوا بهما ، لآمنوا بالنبي ، والاستثنائية محذوفة . تقديرها : لكنهم لم يؤمنوا بالنبي ، فلم يؤمنوا بها . فكأنه قال : واللازم ، باطل ، فكذا الملزوم ، اهـ .

ونحوه في حاشية الصاوي أيضاً .

وأشار أبو حيان في البحر المحيط ، إلى بيان التلازم من جهة أخرى ، فقال في تفسير آية البقرة ـ مما تقدم نقله عنه ـ : وقد اندرج في الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالرسل ، إذ البعث لا يعرف إلا من جهة الرسل ، اهـ .

وهذا تلازم عقلي ، لأنه لا يجوز في قضايا العقول الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالرسل الذين أخبروا به ، ومن طريقهم عرف ، فالإيمان باليوم الآخر ، يستلزم عقلاً ، الإيمان بالرسل ، وهذا واضح جداً .

وقال أبو حيان أيضاً في تفسير قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ) ـ : الظاهر أن الضمير في به ، عائد على

الكتاب ، أي الذين يصدقون بأن لهم حشراً . ونشراً وجزاء ، يؤمنون بهذا الكتاب ، لما انطوى عليه من ذكر الوعد والوعيد ، والتبشير والتهديد ، واكتفى بذكر الإيمان بالبعث ـ وهو أحد الأركان الستة التي هي واجب الوجود - والملائكة والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر ـ لأن الإيمان به يستلزم الإيمان بباقيها . ولإسماع كفار العرب وغيرهم ممن لا يؤمن بالبعث ، أن من آمن بالبعث ، آمن بهذا الكتاب وأصل الدين خوف العاقبة ، فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن ، اهـ .

قد يقول قائل : وحيث ثبت بالأدلة السابقة ـ وهي قاطعة جازمة ـ أن أجزاء حقيقة الإيمان ، متلازمة في طرفي الثبوت والانتفاء ، فما الحكمة في الاقتصار على الإيمان باليوم الآخر في آية البقرة ؟ ولم لم يقتصر على الإيمان بالرسل ؟ والتلازم هو التلازم ؟

فنقول في جوابه :

حكمة ذلك : أن اليوم الآخر ، يذكر العبد بعرضه على الله ، ووقوعه بين يديه . فيستشعر القلب جلال الله وعظمته ، وتمتلىء النفس مهابة وخشية . وذلك أقوى في تثبيت الإيمان ، وأدعى إلى الامتثال ، مع خضوع وإذعان،ولهذا المعنى ، ذكر الله الإيمان باليوم الآخر في بعض الأوامر ، لتنزعج نفوس المكلفين ، فيندفعوا إلى فعل ما أمروا به ، مسوقين

بسياط الخوف ، محوطين بسياج أمل:(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) فقال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) وقال عز شأنه :

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقال جَلَّ ذكره : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ) .

وفي آية البقرة إشارة إلى ما قررناه ، حيث قال الله تعالى: (مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) فقوله: (وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) يشير إلى أن إيمانهم باليوم الآخر استدعى خوفهم من الله في الدنيا فجوزوا بنفيه

عنهم يوم القيامة ، إذ الجزاء من جنس العمل ، وهذا كما قال الأبرار ـ فيما فعلوا من الخير ـ :

(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً).قال الله تعالى :

(فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً) أي أمنهم مما خافوا .

وفي الحديث القدسي عن الله تبارك وتعالى ، قال : « وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين ؛ من خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ، ومن أَمِنَني في الدنيا أَخَفْتُهُ في الآخرة ».صححه ابن حبان . هذا : وينبغي أن تعلم أن من قال برأي هذا المبتدع الذي أوضحنا بطلانه، فهو كافر،والعياذ بالله ، لأنه خالف ما ثبت بالقرآن الكريم ، وعُلم من الدين بالضرورة ، وأجمع عليه المسلمون قاطبة .

قال الإمام أبو محمد بن حزم في كتاب « مراتب الإجماع » تحت ترجمة : باب من الإجماع في الاعتقادات ، يكفر من خالفه بإجماع ، أي لكونه معلوماً من الدين بالضرورة ما نصه : واتفقوا أن دين الإسلام ، هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سواه ، وأنه ناسخ لجميع الأديان ، قبله ، وأنه لا ينسخه دين بعده أبداً ، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلد في النار أبداً ، اهـ .

ووافقه ابن تيمية وغيره .

وعلى هذا فما يعتقده بعض العوام الجهلة بالدين : أن اليهودي أو النصراني إذا عمل في الدنيا خيراً ، يدخل الجنة يوم القيامة ، كفر محض بإجماع المسلمين . وكذا الترحم على موتى اليهود والنصارى ، هو من هذا القبيل أيضاً ، لأن الله تعالى أخبر أن من مات على غير الإسلام فهو خاسر ، لا يدخل الجنة ولا تناله الرحمة أبداً ، لأنه تمسك بدين منسوخ غير مقبول . وما يفعله أهل الكتاب أو غيرهم من الكفار ، من خير كصدقة مثلاً ، يثابون عليه في الدنيا بالصحة ، أو سعة الرزق ، أو البسطة في الجاه ، أو نحو ذلك ، ولا ثواب لهم يوم القيامة إطلاقاً لقوله تعالى (وَقَدِمْنا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً) نعم . قد يخفف عن الكافر بعض العذاب ـ وهو في النار ـ ببعض أعماله الصالحة ، كما ثبت في الصحيحين أن أبا طالب ، يجعله الله يوم القيامة في ضحضاح من النار ، بشفاعة النبي ﷺ ، لأنه كان يحوطه وينصره ويدافع عنه ، لكن لم يؤمن به .

وورد أيضاً ، أن أبا لهب ، يَمَصُّ من أصبعه كل يوم اثنين شيئاً قليلاً ، لإعتاقه ثويبة ، حين بشرته بولادة النبي ﷺ .

أما الخروج من النار ، فلا مطمع فيه لكافر أبداً . فنسأل

الله أن يميتنا على دين الإسلام ، ويمحو عنا الأوزار والآثام ، وأن يقبل هذا التأليف ، ويجعله سبباً للفوز بجنات النعيم ، تحت لواء نبيه العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم ، آمين .

والحمد لله رب العالمين .

٣٢و
غ